أطماع اقتصادية واستراتيجية وراء ترسيخ السعودية وجودها في المهرة اليمنية

التغيير

أبرز تحقيق صحفي سلسلة أطماع اقتصادية واستراتيجية وراء ترسيخ المملكة وجودها في المهرة اليمنية التي تحولت إلى مسرح لتكريس احتلال الرياض وفرض نفوذها.

وجاء في تحقيق أعده الصحفي المتخصص بالشئون الخليجية كانتان مولر، أنه إذا كانت منطقتا المهرة وأرخبيل سقطرى تنتميان إلى نفس البلد منذ القرن السادس عشر حتى عام 1967، فقد شهدتا تطورات مختلفة بالنظر إلى تدخلات المملكة والإمارات العربية المتحدة منذ دخولهما الحرب ضد أنصار ا سنة 2015.

لا تتأثر المهرة الواقعة على الحدود مع عُمان -على بعد مئات الكيلومترات من الجبهة الشمالية- بالقصف أو الاشتباكات على الأرض.

لكن المملكة نشرت في المهرة ترسانة ضخمة منذ 2017، هدفها الرسمي مكافحة تهريب الأسلحة الذي قد يتم عبر الحدود مع عُمان. يقول آل سعود إنهم يشتبهون في تساهل سلطنة عُمان مع إيران.

وعلى الرغم من كونه مقيما في المملكة، لم يتردد عبد الله بن عيسى آل عفرار الذي أعلن نفسه سلطانا على المنطقة، في الانتقاد العلني -وأحيانًا أمام مسؤولين المملكة - لما يصفه باحتلالٍ لأراضيه. فشعبيته الواسعة في المهرة كما في سقطرى تمنحه نوعا من الحصانة.

استولت الرياض نهاية سنة 2017 على ميناء نشطون ومراكز شاهين وصرفيت الحدودية، وعلى مطار الغيضة. يقول ريان بوهل، وهو محلل مختص في الشرق الأوسط لدى مركز دراسات ستراتفور: "تتمثل استراتيجية المملكة في السيطرة على مواقع النقل الرئيسية لمنع عمليات التسليم الموجهة لأنصار الله أو -احتمالا- للقوات الموالية للعُمانيين في المنطقة". فمطار الغيضة، الذي كان أحد آخر المطارات التي توفر رحلات مدنية، تم احتكاره من طرف القوات العسكرية التي جعلت منه إحدى قواعدها العسكرية في المهرة.

في سنة 2017 أُقيل محمد عبد الله كده، المحافظ المهري الحامل لجواز سفر عماني. وحلّ مكانه راجح سعيد باكريت الذي اختارته المملكة وهو يحمل لجوازها.

تقول إليزابيث كيندال، الباحثة في الدراسات العربية والإسلامية في كلية بيمبروك بجامعة أكسفورد، إن لعبة القوة التي تلعبها الرياض لم تُستسَغ في المهرة: "يثير التدخل عداءً قويًا، خاصة على طول الساحل وهو ذو كثافة سكانية عالية".

بالإضافة إلى تقدمهم العسكري، يبدو أن آل سعود قد نقلوا سكانا ينتمون إلى التيار السلفي -من بينهم أجانب- فرّوا من شمال البلاد ومن تقدم أنصار الله إلى قشن، مدينة السلاطين السابقة. ويُعد ذلك إهانة لعشيرة آل عفرار ولهذه المنطقة ذات الأغلبية السنية، والتي تعارض عمومًا التيارات المحافظة جدًا من الإسلام.

بعد انتقاداته اللاذعة للمناورات العسكرية للمملكة في المهرة، غادر عبد الله بن عيسى آل عفرار المملكة في 2017. عُمان التي جعلت من المهرة منذ حرب ظفار (1964-1976) فضاء أساسيًا لأمن أراضيها والتي لها علاقات ممتازة مع القبائل، لا تنظر بعين الرضا للانتشار قوات آل سعود على حدودها.

تخشى السلطنة التي كانت آنذاك في حالة جفاء مع الرياض بسبب رفضها التدخل في التحالف ضد أنصار

ا، من أن تحاول المملكة تقويض استقرارها. عرضت مسقط حينها على سلطان آل عفرار جواز سفر عُماني واستقبال أسرته ورجاله في صلالة. هناك التقيناه في نهاية عام 2019. يعيش الرجل في فيلا بلا روح في ضاحية راقية ومجهولة عند سفح جبال ظفار المذهلة.

كان السلطان المتوسط القامة يرتدي مصرًا (العمامة العمانية) أنيقًا وهو يستقبلنا في غرفة جلوس كبيرة مؤثثة بآرائك فضية مزينة بالماس المزيف والأقمشة اللماعة.

ينحني رجاله قبل أن يأخذوا أماكنهم من حوله. يخطب السلطان: "كانت المهرة بعيدة عن الحرب. لا وجود عندنا لأنصار ا ولا لإرهابيي داعش أو القاعدة. كنا في سلام قبل وصول آل سعود. جاءت المملكة بالجنود والمعدات العسكرية. وبدأوا باحتلال موانئنا والمعابر الحدودية بين عُمان والمهرة. لم يخطروني أبدًا بوصولهم إلى المهرة. لم يستشيروا أحدا، ولا حتى السلطات المحلية".

فضلا عن الوجود العسكري المكثف، صار المحتل الجديد يتدخل في الحياة السياسية للسلطنة السابقة. تم تعيين راجح باكريت الذي يحمل الجنسيتين اليمنية وجنسية المملكة محافظا مطلع 2018.

يؤكد سلطان آل عفرار قائلا: "باكريت ليس حرا، فهو يتلقى كل تعليماته من المملكة"، وقد تزامن وصوله مع تعزيز عدد قوات المملكة. بحسب تقديرات مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، وهو مركز بحث وتحليل خاص، أقامت الرياض خمس قواعد عسكرية في المهرة. ورداً على ذلك، نظم السكان المهريون الساخطون من هذه التدخلات والذين شعروا بتهديد هويتهم الثقافية وسيادتهم، مظاهرات كبيرة.

ويؤكد سكان المهرة بأن آل سعود رفعوا الضرائب على الحدود، ويقول العديد من زعماء القبائل بأنهم تلقوا عروضاً من نظام آل سعود لكسب النفوذ مقابل المال والسلاح. ويعد ذلك إهانة بالنسبة للعديد منهم الذين تربطهم بعمان علاقات قائمة على التبادلات الأمنية والإنسانية، وهي راسخة وأقدم بكثير.

يؤكد محافظ المهرة السابق محمد بن كده الذي طردته المملكة هذا الموقف:"هناك انتهاكات [للقانون] من قبل قادة قوات المملكة. لا يوجد احترام للسلطة المحلية التي تخضع للمراقبة المستمرة ".

المملكة تريد خط أنابيب وميناء

لماذا تحاول المملكة ترسيخ وجودها في المهرة؟ يستقبلنا علي سالم الحريزي، الذراع الأيمن للسلطان،

في فندق بمسقط. يعد الرجل من أبرز رموز المعارضة.

بوجه قاس ونظرة قاتمة، لا يخفي الرئيس السابق لحرس الحدود غضبه. "لقد أتت المملكة إلى المهرة لتستعمر منطقتنا. يريد آل سعود أن يحكموا وأن يسرقوا هذه الأرض وأن يبنوا خط أنابيب نحو بحر العرب. فهم يعتبرون المهرة ربما إحدى محافظات مملكتهم. لكن شعبنا لن يسمح لذلك أن يحصل".

في سبتمبر/أيلول 2018، قامت قوات قبلية في المهرة بصد فريق من المهندسين من المملكة كان يُفترض أن ينطلقوا في إنجاز طريق في منطقة الخرخير الصحراوية الحدودية.

كشف مركز صنعاء للأبحاث عن وجود رسالة موقعة من شركة هوتا للأعمال البحرية، التابعة لمجموعة بن لادن، موجهة إلى سفير آل سعود في اليمن، تشكره فيها على قبوله إقامة دراسة جدوى لميناء نفطي.

يؤكد فرانسوا فريزون روش، الباحث بالمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي والمختص في اليمن قائلا: "إنه مشروع قديم يجعل آل سعود يتجنبون نقل نفطهم عبر مضيق هرمز أو انطلاقا من مضيق باب المندب في البحر الأحمر. يعد ذلك حلما بالنسبة للمملكة. في السابق، لم يكن هذا ممكنا لأن اليمن كانت جمهورية، ولكن اليوم إذا أرادوا مد خط الأنابيب هذا لتأمين إخلاء نفطهم، سيجدون الوسائل المالية أو العسكرية لفرض أنفسهم في هذه المنطقة".

إلى جانب خط الأنابيب، تهتم المملكة بالإمكانات الساحلية والجيوستراتيجية للمهرة. تحلل إليزابيث كيندال قائلة: "تمتد المحافظة على مسافة أكثر من 500 كيلومتر من الخط الساحلي. وتسيطر المهرة على مفتاح طرق التجارة المربحة التي يمكن أن تغذي الجريمة المنظمة والإرهاب."

على عكس سقطرى، انتقلت المهرة إلى المقاومة المسلحة. ففي 17 فبراير/شباط 2020، نصبت بعض قبائل المهرة كمينًا لقافلة تابعة للقوات آل سعود مرفوقة بقوات يمنية كان يفترض أنها ستقوم بتفتيش مناطق الموانئ لصد أي تهريب أسلحة إيرانية لأنصار ا.

وقامت طائرات أباتشي بمطاردة المهاجمين مما أدى إلى إصابة عدد منهم بجروح. وقد لقي خمسة جنود يمنيين مصرعهم بعد ثمانية أيام من ذلك في هجوم جديد استهدف قوات المملكة المتوجهة نحو نقطة الشاهي الحدودية التي يسيطرون عليها.

حقق الصحفي اليمني يحيى السواري، لعدة أشهر في احتلال المملكة وتداعياته في المحافظة. وقد تم اختطافه في صيف 2019 وتسليمه إلى قوات المملكة ، واحتجز في سجن سري بمطار الغيضة.

أدرك الصحفي بأنه ليس المعارض الوحيد المعتقل. "كان البعض يصرخ ويطلب القليل من الطعام". وبعد أيام من الاعتقال، تم تسليمه إلى إحدى هذه المليشيات من الجنود اليمنيين من خارج المهرة التي شكلها آل سعود والإماراتيون، وتعرض للتعذيب لمدة 56 يومًا قبل أن يتمكن من الفرار. يصف يحيى القمع في المهرة بالأعمى.

وفي يوم اعتقاله، كان قد ذهب إلى مستشفى الغيضة لسماع شهادة فتاة نجت من اعتداء على مسكنها. "لقد قتلوا عائلتها بالكامل وكانت الناجية الوحيدة. يستخدم آل سعود في المهرة كل الوسائل للقبض على المستهدفين. لا توجد أية إجراءات قانونية ولا أحد يعرف من هم الضحايا".

يؤكد تقرير لمنظمة هيومان رايتس ووتش أقوال يحيى السواري، ويتهم قوات المملكة بخطف وتعذيب مواطنين من المهريين بدعوى صلتهم بحزب الله وعُمان وقطر.

لا يرى علي سالم الحريزي من مخرج سوى المواجهة المسلحة، مؤكداً هكذا مخاوف بعض المراقبين. "لسنا مستعدين للقتال ضد آل سعود، لكن سنكون مضطرين لذلك. في المهرة، لا يملك الناس سوى أسلحة قديمة.. طلبنا من عُمان دبابات لدعمنا لكنها رفضت". وكان السلطان قد أكّد بشدة في نوفمبر/تشرين الثاني 2019: "نريد أن تكون المهرة مستقلة، نريد أن يكون لنا نظامنا الخاص وسيادتنا".

الإمارات تلعب ورقة المجلس الانتقالي الجنوبي

من جانبها، حاولت الإمارات العربية المتحدة تشكيل قوات من المهرة ابتداء من صيف 2015 بمدربيها الخاصين وخارج المحافظة، مما أثار مرة أخرى شكوكًا وتوترًا.

لكن أبو ظبي تخلت بسرعة عن ذلك في المهرة، غير أن الحركة التي تدعمها -أي المجلس الانتقالي الجنوبي- والتي تتمتع بنفوذ متزايد، لم تقم بذلك. في أوائل أغسطس/آب 2021، نظم المجلس الانتقالي الجنوبي مظاهرات ضد تنصيب برلمان الحكومة المركزية في شرق البلاد.

من جهة أخرى، خلال سنة 2020، غيّر عبد الله بن عيسى آل عفرار موقفه وقرر الالتحاق بالمجلس الانتقالي

الجنوبي، وهو القوة الحاكمة بسقطرى. يريد الانفصاليون الجنوبيون إدماجا كاملا لعائلة آل عفرار، الحليف المفضل، في مشروعهم للعودة إلى دولة اليمن الجنوبي. في المقابل، تَعِد الحركة معسكر آل عفرار بأن المهرة وسقطرى ستستفيدان بقدر كبير من الحكم الذاتي. وبالموازاة، يتلقى عبد الله بن عيسى آل عفرار دعما ماليا من دولة الإمارات العربية المتحدة حيث ذهب ليقيم – بعد أن قررت عُمان سحب مساعدتها له.

لم تتقبل لجنة الاعتصام السلمي بالمهرة، وهي مجموعة تضم وجوها قبلية وسياسية، هذا التغير في التحالفات. ويُنظر إلى السلطان على أنه انتهازي. كما أن جزءا من عائلة آل عفرار لا تؤيد هذا التغير وهي تعبر عن ذلك علنا. في 10 يوليو/ تموز2020 تم تعيين محمد بن عبد الله آل عفرار، وهو ابن عم بعيد لعبد الله بن عيسى آل عفرار، سلطانا جديدا من طرف فرع قشن لعائلة آل عفرار الموجودة بالمهرة والتي ترفض قرار عبد الله الالتحاق بالمجلس الانتقالي الجنوبي بسقطرى وتأييده للانقلاب. وتوفر له عُمان الدعم في معارضة للإمارات العربية المتحدة.

تحالفات جديدة للسلطان المخلوع

على الرغم من تنصل جزء من عائلته منه، يواصل عبد الله بن عيسى آل عفرار تنقلاته إلى المهرة وسقطرى حيث مازال يحتفظ بشعبية كبيرة. في أول فبراير/شباط 2021، نظم السلطان المخلوع تجمعا في الغيضة، أهم مدينة في المهرة، وأعرب المئات من أتباعه عن دعمهم له. بعد ذلك توجه عبد الله إلى سقطرى وأهدى للسكان عبّارة أُعطِيت اسم "حلم سقطرى" بسعة 300 راكب، تربط الأرخبيل بمهرة وحضرموت.

ويعد ذلك التفاتة سارة للسكان اليمنيين في هذه الوجهات الثلاث. وبالفعل فالسفر عبر شركة الطيران اليمنية الوطنية مكلف وخطير في مراكب الدّاو التجارية. كما تبنى لهجة أكثر تصالحية بشأن وجود آل سعود بالمهرة وسقطرى.

يعلق أحمد بلهاف، المكلف بالعلاقات الخارجية بلجنة الاعتصام السلمي للمهرة قائلا: "لقد قام عبد الله بن عيسى آل عفرار بحساب سيئ للغاية. ويعود ذلك لقلة خبرته السياسية وبسبب الوعود المملكة والإمارات بمنطقة حكم ذاتي يترأسها. وكان هذا الوعد الذي دفع بالجماهير إلى دعم المجلس الانتقالي الجنوبي بالمهرة".

ويضيف أحمد بلهاف: "إن المجلس الانتقالي الجنوبي ليس له تأثير كبير بالمهرة. فهو يستغل محنة الناس

البسطاء والذين خذلهم نظام علي عبد الله الصالح السابق. لقد أصبح المجلس الانتقالي الجنوبي أداة في يد الإمارات و المملكة على أمل أن تصبح حركة تواجه كل القوى الوطنية التي تعارض وجودهم".

وفق أحمد بلهاف، تعارض قبائل المهرة التدخلات الأجنبية التي قد تؤدي بها إضافة إلى آل سعود، إلى الدخول في نزاع مع المجلس الانتقالي الجنوبي في حالة "لجوئه إلى ميليشيات قادمة من خارج المحافظة" كما فعلت الحركة الجنوبية.. بسقطرى.

أعرب محمد علي ياسر، محافظ المهرة منذ فبراير/شباط 2020 عن قلقه البالغ العام الماضي بخصوص انقلاب المجلس الانتقالي الجنوبي بسقطرى. وقد عمل في يوليو/ تموز2020 على تنظيم لقاءات مع زعماء قبائل وسياسيي المهرة وكذلك مع عبد الله بن عيسى آل عفرار والفروع المحلية لحركة الإصلاح وانفصاليين جنوبيين.

تم وضع ميثاق شرف يُفترض أنه يجنب أي نزاع مسلح بين الكيانات السياسية المختلفة. لكن المجلس الانتقالي الجنوبي رفض المشاركة في هذه اللقاءات، كما انسحب السلطان المخلوع أيضا نتيجة تحالفه الأخير مع الحركة من اتفاقية يفترض أنها تسمح بإحلال السلام في محافظة بعيدة عن الحرب الأهلية في الشمال.